موجز في تفسير
سورةُ النَّبَأ

سليمان بيضون

*** السورة الثامنة والسبعون في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد سورة «المعارج».**

*** سُمّيت بـ«النبأ» لورود هذه الكلمة في الآية الثانية منها، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.**

*** آياتها أربعون، وهي مكيّة، مَنْ قرأها سقاه الله بَرْدَ الشراب يوم القيامة، و«مَن قرأها وحفظها كان حسابُه يوم القيامة بمقدار صلاةٍ واحدة»، كما في الحديث النبويّ الشريف.**

*** ما يلي موجز في التعريف بالسورة المباركة اخترناه من تفاسير: (نور الثّقلين) للشيخ عبد علي الحويزي رحمه الله، و(الميزان) للعلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله، و(الأمثل) للمرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.**

تقع سورة «**النبأ**» في بداية الجزء الثلاثين من كتاب الله العزيز، وهو المسمّى بجزء «**عَمَّ**» لابتداء السورة بعد البسملة بهذا الاستفهام.

وتمتاز أغلب السور القرآنية في هذا الجزء الأخير بأنّها نزلت في مكّة المكرّمة، وتؤكّد في مواضيعها مسائلَ: المبدأ، والمعاد، والبشارة، والإنذار. وتتبع أسلوب التحفيز في الحديث، وتتعامل مع الأحاسيس الموقِظة للضمير الإنساني، وتمتاز معظم آياتها بقِصر العبارة المتضمّنة لإشارات متعدّدة، حيث تبثّ الحياة في الأجساد الخالية من الروح، وتنقلها من عالم الغفلة واللامبالاة إلى عالم الشعور بعِظَم المسؤولية الملقاة على العواتق، وإلى البناء الجادّ الملتزم للشخصية الإنسانية الحقّة.

محتوى السورة

تتضمّن السورة الإخبارَ بمجيء «**يوم الفَصل**»، وصِفته، والاحتجاج على أنّه حقٌّ لا ريب فيه، فقد افتُتحت بذكر تساؤل المشركين عن نبأه، ثمّ ذُكر في سياق الجواب ولحن التهديد أنّهم سيعلمون، ثمّ احتجّ على ثبوته بالإشارة إلى النظام المشهود في الكون بما فيه من التدبير الحكيم الدالّ بأوضح الدلالة على أنّ وراء هذه النشأة المتغيّرة الدائرة نشأةً ثابتةً باقية، وأنّ عَقيب هذه الدار التي فيها عملٌ ولا جزاء داراً فيها جزاءٌ ولا عمل، فهناك يومٌ يُفصِحُ عنه هذا النظام.

ثمّ تصف ذلك اليوم بما يقع فيه من إحضار الناس وحضورهم وانقلاب الطاغين إلى عذابٍ أليم، والمتّقين إلى نعيمٍ مقيم، ويختم الكلام بكلمة في الإنذار.

ويمكن تلخيص محتوى السورة بما يلي:

١) السؤال عن «**النبأ العظيم**» وهو يوم القيامة كحدثٍ بالغِ الخطورة.

٢) الاستدلال على إمكانية المعاد والقيامة، من خلال الاستدلال بمظاهر القدرة الإلهية في: السماء، والأرض، والحياة الإنسانية، والنِّعَم الربانية.

٣) بيان بعض علامات بدء البعث.

٤) تصوير جوانب من عذاب الطّغاة الأليم.

٥) التشويق للجنّة، بوصف أجوائها الفيّاضة بالنّعم.

٦) تختم السورة بالإنذار الشديد من عذابٍ قريب، بالإضافة إلى تصوير حال الذين كفروا.

ثواب تلاوتها

*** عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ،أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ سورَةَ (عَمّ يَتَساءَلونَ) سَقاهُ اللهُ بَرْدَ الشَّرابِ يَوْمَ القِيامَةِ».**

*** وعنه صلّى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَها وَحَفِظَها كانَ حِسابُهُ يَوْمَ القِيامَةِ بِمِقْدارِ صَلاةٍ واحِدَةٍ..».** [أي قصير المدّة]

*** وعن الإمام الصادق عليه السلام: « مَنْ قَرَأَ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ لَمْ تَخْرُجْ سَنَتُهُ - إذا كانَ يُدْمِنُها في كُلِّ يَوْمٍ - حَتَّى يَزورَ البَيْتَ الحَرامَ».**

تفسيرُ آياتٍ منها

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الآيتان:١-٢.

*** الإمام الصادق عليه السلام: «النَّبَأُ العَظيمُ: الوِلايَةُ».**

*** وعنه عليه السلام في الدعاء بعد صلاة يوم الغدير: «شَهِدْنا**

بِمَنِّكَ وَلُطْفِكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، رَبُّنا. وَمُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسولُكَ نَبِيُّنا، وَعليٌّ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ وَالحُجَّةُ العُظْمى، وَآيَتُكَ الكُبْرَى وَالنَّبَأُ العَظيمُ الّذي همْ فيهِ يَخْتَلِفونَ».

* سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن معنى «النبأ» في الآية، فقال: «هِيَ فِي أَمير الْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ؛ كانَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَقولُ: ما للهِ، عَزَّ وَجَلَّ، آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنّي، وَلا للهِ مِنْ نَبَأٍ أَعْظَمُ منّي».

* قال في (الأمثل): «..هناك عدّة معانٍ للنبأ العظيم، مثل: القيامة، القرآن، أصول الدين .. إلّا أنّ القرائن الموجودة في مجموع آيات السورة تدعم تفسير (النبأ) بـ(المعاد) وترجّحه على الجميع.

ولكنّنا نجد في روايات أهل البيت عليهم السلام وفي بعض روايات أهل السنّة أنّ النبأ العظيم بمعنى إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام... [إلّا أنّه] كمفهوم قرآني - مثل سائر المفاهيم القرآنية - له من السّعة ما يشمل كلّ ما ذُكر من معانٍ، وإذا كانت قرائن السورة تدلّ على أنّ المقصود منه المعاد، فهذا لا يمنع من أن تكون له مصاديق أخرى».

قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ الآية:٧.

من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة): «..وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ..».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ الآيات:٢١-٢٣.

* سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن المقصودين بالآية فقال: «هَذِهِ فِي الَّذينَ يَخْرُجونَ مِنَ النَّارِ».

* عن الإمام الصادق عليه السلام: «الأَحْقابُ ثَمانِيَةُ حُقُبٍ، وَالحُقُبُ ثَمانونَ سَنَةً، وَالسَّنَةُ ثَلاثُمأةٍ وَسِتّونَ يَوْماً، وَاليَوْمُ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ الآية:٣١.

الإمام الباقر عليه السلام: «هِيَ الكَراماتُ».

قوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ الآية:٣٦.

أمير المؤمنين عليه السلام: «.. حَتَّى إِذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ حَسَبَ لَهُمْ حَسَناتِهِمْ، ثُمَّ أَعْطاهُمْ بِكُلِّ واحِدَةٍ عَشْرَ أَمْثالِها إِلى سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ».

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ..﴾ الآية:٣٨.

الإمام الصادق عليه السلام في معنى «الروح» في الآية: «هُوَ مَلَكٌ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرئيلَ وَميكائيلَ».

قوله تعالى: ﴿..لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ الآية:٣٨.

الإمام الكاظم عليه السلام: «نَحْنُ، وَاللهِ، المَأْذونُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَالقائِلونَ صَواباً «..» نُمَجِّدُ رَبَّنا وَنُصَلّي عَلى نَبِيِّنا، وَنَشْفَعُ لِشيعَتِنا، وَلا يَرُدُّنا رَبُّنا..».

قوله تعالى: ﴿..وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ الآية:٤٠.

روى الشيخ الصدوق في (عِلل الشرائع) بسنده المتّصل إلى عباية بن ربعيّ، قال: قلتُ لعبد الله بن عبّاس: لِمَ كنّى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عليّاً أبا تراب؟

قال: لأنّه صاحبُ الأرض وحجّةُ الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها وإليه سكونها، ولقد سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «إِذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ وَرَأَى الكافِرُ ما أَعَدَّ اللهُ، تَبارَكَ وَتَعالى، لِشيعَةِ عَلِيٍّ مِنَ الثَّوابِ وَالزُّلْفى وَالكَرامَةِ، قالَ: يا لَيْتَني كُنْتُ تُراباً، أَيْ مِنْ شيعَةِ عَلِيٍّ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿..وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾».

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَ سورَةَ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ سَقاهُ اللهُ بَرْدَ الشَّرابِ يَوْمَ القِيامَةِ».

وعنه صلّى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَها وَحَفِظَها كانَ حِسابُهُ يَوْمَ القِيامَةِ بِمِقْدارِ صَلاةٍ واحِدَةٍ..»

المسجد الحرام

بيت العبادة الخالصة

العلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله

تناولت سورة الحجّ في ثلاث عشرة آية منها (الآيات من ٢٥ إلى٣٧) مجموعة من المفاهيم المرتبطة بالمسجد الحرام، منذرةً مشركي مكّة من عاقبة صدّ المسلمين عن دخوله والتعبّد فيه، حاكيةً عن علاقة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السّلام بالبيت العَتيق، وما أُوكل إليه من قبل الله تعالى بشأنه، يلي ذلك تأكيد جملة من الأحكام المرتبطة بالهَدي.

هذا المقال، مقتطف ممّا أورده العلّامة الطباطبائي في الجزء الرابع عشر من موسوعته (الميزان في تفسير القرآن)، عند تفسيره هذه الآيات المباركات، وقد راعينا فيه إبراز اللطائف التفسيرية.

«شعائر»

* قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية:٢٥.

المراد بالذين كفروا مشركو مكّة الذين كفروا بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في أوّل البعثة قبل الهجرة، وكانوا يمنعون الناس عن الإسلام - وهو سبيل الله - والمؤمنين عن دخول المسجد الحرام لطواف الكعبة وإقامة الصلاة وسائر المناسك، والمراد بصدّهم: منعُهم المؤمنين عن أداء العبادات والمناسك فيه، وكان من لوازمه منعُ القاصدين للبيت من خارج مكّة من دخولها.

وبه يتبيّن أنّ المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ - وهو وصفُ المسجد الحرام - جعلُه لعبادة الناس لا تمليك رقبته لهم، فالناس يملكون أن يعبدوا الله فيه، ليس لأحدٍ أن يمنع أحداً من ذلك، ففيه إشارة إلى أنّ منعهم وصدّهم عن المسجد الحرام تعدٍّ منهم على حقّ الناس وإلحادٌ بِظُلم، كما أنّ إضافة ﴿السبيل﴾ إلى ﴿الله﴾ تعدٍّ منهم إلى حقّ الله تعالى.

تطهيرُ البيت من الرِّجس المعنويّ

* قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ الآية:٢٦.

تبوئته تعالى مكان البيت لإبراهيم هي جعلُ مكانه مَباءةً ومرجعاً لعبادته لا لأن يتّخذه بيتاً سكنيّاً يسكن فيه، ويلوّح إليه قوله بعدُ ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ بإضافة البيت إلى نفسه، ولا ريب أنّ هذا الجعل كان وحياً لإبراهيم، فقوله تعالى: ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ في معنى قوله سبحانه: أوحينا إلى إبراهيم أن اتّخذ هذا المكان مباءة ومرجعاً لعبادتي. وإن شئت فقل: أوحينا إليه: أن اقصد هذا المكان لعبادتي. وبعبارة أخرى أن اعبدني في هذا المكان.

ويتّضح أيضاً أنّ قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ ليس المراد به - وهو واقع في هذا السياق - النهي عن الشرك مطلقاً - وإن كان منهيّاً عنه مطلقاً - بل المنهيّ عنه فيه هو الشرك في العبادة التي يأتي بها حينما يقصد البيت للعبادة. وبعبارة واضحة: الشرك فيما يأتي به من أعمال الحجّ كالتلبية للأوثان والإهلال لها ونحوهما.

فتطهير بيته إمّا تنزيهه من الأرجاس المعنوية خاصّة بأن يشرّع إبراهيم عليه السلام للناس ويعلّمهم طريقاً من العبادة لا يداخلها قذارةُ شِرك، ولا يدنّسها دنَسُه، كما أمر لنفسه بذلك، وإمّا إزالة مطلق النجاسات عن البيت أعمّ من الصورية والمعنوية، لكن الذي يمسّ سياق الآية منها هو الرجس المعنوي.

ضروب المنافع في الحجّ

* قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ..﴾ الآيتان:٢٧-٢٨.

المنافع نوعان: **منافع دنيوية**، وهي التي تتقدّم بها حياة الإنسان الاجتماعية ويصفو بها العيش وتُرفع بها الحوائج المتنوّعة وتكمل بها النواقص المختلفة؛ من أنواع التجارة، والسياسة، والولاية، والتدبير، وأقسام الرسوم، والآداب والسنن والعادات، ومختلف التعاونات والتعاضدات الاجتماعية وغيرها. فإذا اجتمع أقوامٌ وأممٌ من مختلف مناطق الأرض وأصقاعها، على ما لهم من اختلاف الأنساب والألوان والسنن والآداب، ثمّ تعارفوا بينهم، وكلمتُهم واحدة هي كلمة الحقّ، وإلههم واحد وهو الله عزّ اسمه، ووجهتُهم واحدة هي الكعبة البيت الحرام، حملَهم اتّحادُ الأرواح على تقارب الأشباح، ووحدة القول على تشابه الفعل، فأخذ هذا من ذاك ما يرتضيه وأعطاه ما يُرضيه، واستعان قومٌ بآخرين في حلّ مشكلتهم وأعانوهم بما في مقدرتهم، فيُبَدّل كلّ مجتمع جزئي مجتمعاً أرقى، ثمّ امتزجت المجتمعات فكوّنت مجتمعاً وسيعاً له من القوّة والعدّة ما لا تقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أيّ قوة جبارة طاحنة.

ومنافع أخروية: وهي وجوه التقرّب إلى الله تعالى بما يمثّل عبودية الإنسان من قول وفعل. وعملُ الحجّ بما له من المناسك يتضمّن أنواعَ العبادات، من التوجّه إلى الله، وترك لذائذ الحياة وشواغل العيش، والسعي إليه بتحمّل المشاقّ، والطواف حول بيته، والصلاة والتضحية والإنفاق والصيام وغير ذلك.

أوّلُ بيتٍ وُضع للناس

* قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الآية:٢٩.

البيت العتيق هو الكعبة المشرّفة سمّيت به لقدمه، فإنّه أوّل بيت بُني لعبادة الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران:٩٦، وقد مضى على هذا البيت اليوم زهاء أربعة آلاف سنة وهو معمور، وكان له يوم نزول الآيات أكثر من ألفين وخمسمائة سنة.

تعظيمُ الحُرُمات بعدم تعدّيها

* قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ الآية:٣٠.

ندبٌ إلى تعظيم حرمات الله، وهي الأمور التي نهى عنها وضرب دونها حدوداً منع عن تعدّيها واقتراف ما وراءها، وتعظيمُها الكفُّ عن التجاوز إليها.

والذي يعطيه السياق أنّ هذه الجملة ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ..﴾ توطئةٌ وتمهيد لما بعدها من قوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ فإنّ انضمام هذه الجملة إلى الجملة قبلها يُفيد أنّ الأنعام - على كونها ممّا رزقهم الله وقد أحلّها لهم - فيها حرمة إلهية.

الحنيفيّة هي الميلُ عن الأغيار

* قوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الآية:٣١.

الحنفاء جمع «حنيف» وهو المائل من الأطراف إلى حاقّ الوسط. وكونهم ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ ميلُهم عن الأغيار - وهي الآلهة من دون الله - إليه، فيتّحد مع قوله ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ معنىً.

وهما - أعني قوله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ وقوله: ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ - حالان عن فاعل ﴿فَاجْتَنِبُوا﴾ [الآية ٣٠ التي قبل هذه الآية] أي اجتنبوا التقرّب من الأوثان والإهلال لها، حال كونكم مائلين إليه تعالى عمّن

قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿..وَطَهِّرْ بَيْتِيَ..﴾، إنّه أمرٌ لإبراهيم عليه السلام، بتنزيه البيت عن الأرجاس المعنوية، أو إزالة مطلق النجاسات منه، لكن الذي يناسب سياق الآية هو تطهيره من الرجس المعنوي

سواه، غير مشركين به في حجّكم، فقد كان المشركون يلبّون في الحج بقولهم: «لبيك لا شريك لك إلّا شريكاً هو لك تملكه وما ملك».

وقوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي تأخذه بسرعة، شبّه المشرك في شِركه وسقوطه به من أعلى درجات الإنسانية إلى هاوية الضلال فيصيده الشيطان، [شبّهه] بمَن سقط من السماء فتأخذه الطير.

وقوله: ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي بعيد في الغاية، وهو معطوف على ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ تشبيهٌ آخر من جهة البُعد.

اختصاصُ التّقوى بالقلب دون البدن

* قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ الآية:٣٢.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي الأمرُ ذلك الذي قلنا، والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة، وشعائر الله: الأعلام التي نصبها الله تعالى لطاعته، والمراد بها البُدن التي تُساق هدياً وتُشعَر، أي يُشقّ سنامها من الجانب الأيمن ليُعلم أنّها هدْيٌ على ما في تفسير أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي تعظيم الشعائر الإلهية من التقوى. وإضافة التقوى إلى القلوب للإشارة إلى أنّ حقيقة التقوى - وهي التحرّز والتجنّب عن سخطه تعالى والتورّع عن محارمه - أمر معنويّ يرجع إلى القلوب، وهي النفوس. وليست هي [التقوى] جسد الأعمال التي هي حركات وسكنات، فإنّها مشتركة بين الطاعة والمعصية، ولا هي العناوين المنتزعة من الأفعال كالإحسان والطاعة ونحوها.

صفاتُ المُخبتين

* قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الآيتان:٣٤-٣٥.

المعنى: ولكلّ أمّة - من الأمم السالفة المؤمنة - جعلنا عبادة من تقريب القرابين ليذكروا اسم الله على بهيمة الأنعام التي رزقهم الله. أي لستم، معشر أتباع إبراهيم، أوّل أُمّة شرعت لهم التضحية وتقريب القربان، فقد شرعنا لمن قبلكم ذلك.

وقوله: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي إذ كان الله، سبحانه، هو الذي شرع لكم وللأمم قبلكم هذا الحكم، فإلهكم وإله من قبلكم إلهٌ واحد، فأسلموا واستسلموا له بإخلاص عملكم له، ولا تتقرّبوا في قرابينكم إلى غيره.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ فيه تلويحٌ إلى أنّ مَن أسلم لله في حجّه مخلصاً فهو من المُخبتين، وقد فسّره بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وانطباق الصفات المعدودة في الآية وهي: الوجل، والصبر، وإقامة الصلاة، والإنفاق، على من حجّ البيت مسلماً لربّه معلوم. [المُخبت هو المتواضع والذي يُذعِن للحقّ، لا يتمرّد عليه]

منافع الحجّ الدنيوية: هي التي تتقدّم بها حياة الإنسان الاجتماعية، ويصفو بها العيش، وتُرفع بها الحوائج المتنوّعة وتكمل بها النواقص المختلفة

منافع الحجّ الأخروية: هي وجوه التقرّب إلى الله تعالى بما يمثّل عبودية الإنسان من قول وفعل؛ كالتوجّه إليه سبحانه، وترْك لذائذ الحياة، وشواغل العيش